في الضعف الذي اصيب به الدولار وما تابله من رفع قيمة الين والمارك والفرنك . والى ذلك فان الحرب في الفيتنام القت الشك على كل من فعالية القوة الاميركية ، ومبدأ الحروب المحدودة الذي ارتكزت عليه عشرين سنة من التدخلات المضادة للثورة (التي كانت تتم بمعدل مرة كل ١٨ شهرا منذ عام ١٩٤٧) . واخيرا ، انهار الاجماع حول الحرب الباردة تحت ضغوط الفيتنام . وصارت تدعو الحاجة الى اساطير جديدة وحقائق جديدة لاقناع الناخبين الاميركيين بالامبريالية القديمة . وتسعى استراتيجية كيسنجر الدبلوماسية والعسكرية الى التغلب على مواطن الضعف الناجمة عن ذلك كله . وهدفها استعادة القوة المتناقصة لاميركا ، وليس تحويل علاقاتها الدولية .

اذا اراد المرء ان يفهم احدى السياسات ، عليه ان يحقق افتراضات راسم تلك السياسة . وكانت ثلاثة اشباح تنتاب منذ مدة طويلة هنري كيسنجر وهو يتلمس طريقه نحو نظام دولي مستقر تحت السيطرة الاميركية . كانت هذه الاشباح هي الاتحاد السوفياتي ، حركات التحرير الوطنية ، والخسارة الممكنة للاجماع الداخلي على سياسة خارجية حركية . ولم يخفف الزمن الكثير من مخاوفه حول الاتحاد السوفياتي، وازدادت مخاوفه حول حركات التحرير ، واصبح شبح انهيار الاجماع الداخلي حقيقة واقعة . والى هؤلاء اضيفت مشكلة رابعة : هي مشكلة استعادة تأثير اميركا المتناقص على اوروبا الغربية واليابان .

الوفاق : سياسة التعاون العدائي

ان نعوتا مثل المشاركة الثانوية او اتفاق الدولتين المتفوقتين لا تعبر تعبيرا دقيقا عن صفة الوفاق ونطاقه ، وعن الدوافع الكامنة وراءه . فان اعتقادا عميق الجذور بان الاتحاد السوفياتي منافس طموح ، وبانه الوحيد الذي يمكنه ان يتحدى تفوق اميركا الدولي ، يستمر في توجيه الدبلوماسية والتخطيط الاستراتيجي الاميركي . وهذا ما تمليه العوامل الجغرافية ـ السياسية ، التي تلعب دورا كبيرا في تقرير تقليد السياسة الواقعية الذي يتبناه كيسنجر . فالاتحاد السوفياتي وحده بين الدول الكبرى يتمتع بمزيج المساحة الواسعة من الارض والسواحل البحرية (الممتدة من اسيا الى اوروبا) ، والمعدل الديموغرافي ، والموارد ، والتكنولوجيا القادرة على التنافس مع الولايات المتحدة .

وكان هاجس تحدي الاتحاد السوفياتي للولايات المتحدة يستحوذ على هنري كيسنجر اكثر مما استحوذ على اي استراتيجي اميركي اخر . فهو تكتيكي واسع المخيلة وذكي ، ولكنه استراتيجي جامد . وقد شكلت استشرافه الاستراتيجي بضعة مفاهيم اساسية التزم بها طول عقدين من الزمن . بثبات دوغماتيكي . واحد هذه المفاهيم هو التمييز بين « الدولة الجزيرة » و « الدولة القارية » . وبما ان الاتحاد السوفياتي هو اكبر المساحات الواسعة من الارض واغناها واكثرها تكاملا من الناحية السياسية في « اوراسيا » ، فانها «الدولة القارية » الرئيسية . وعلى هذا فهي العدو الطبيعي والخطر الدائم للولايات المتحدة ، التي يعتبرها كيسنجر « الدولة الجزيرة » الرئيسية ، بمعنى انها اقل موارد وبالتالي فانها محتاجة للوصول الى موارد اوراسيا . ومن هنا يعتقد بان الولايات المتحدة ، ازاء الاتحاد السوفياتي ، تواجه المشكلة التقليدية لدولة جزيرة ـ مشكلة قرطاجة ازاء ايطاليا ، ومشكلة بريطانيا ازاء القارة الاوروبية ... واذا ما وقعت اوراسيا تحت سيطرة دولة واحدة او مجموعة من الدول واذا ما اتيح لهذه الدولة الوقت الكافي لاستغلال مواردها ، فلا بد ان تواجه خطرا بالغا » . (هنري كيسنجر ، « دفاع عن المناطق الرمادية »، **الشؤون الخارجية** ، نيسان ـ ابريل ١٩٥٥). هذه النظرة الجغرافية ـ السياسية لمازق اميركا الاستراتيجي يوضح ايضا اهتمام كيسنجر في منع بروز اوروبا الغربية كمركز مستقل ومتماسك للقوة . ونظرا الى اهمية الشرق الاوسط الاستراتيجية واهمية موارده بالنسبة للدول المصنعة ، فان واشنطن تعطي الاولوية العليا لمنع اتساع نفوذ روسيا في المنطقة ، وايضا لضبط طبيعة روابط اوروبا بها .

الا ان النظرة الاميركية المعاصرة الى الاتحاد السوفياتي هي اكثر عقلانية وفطنة بالمقارنة مع الخمسينات . فحتى كيسنجر ، آنذاك ، اعتبره